المحاضرة الثالثة

سورية في النصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد

(العصر الأموري)

أهم الممالك الامورية التي نشأت في سورية هي (ماري – يمحاض– مملكة آلالاخ– مملكة قطنة– مملكة كركميش– مملكة وجاريت– مملكة جبيل– مملكة حاصور).

مملكة ماري

تعد ماري من أشهر المدن القديمة في الشرق القديم, يعرف موقعها الحالي باسم (تل الحريري) الواقع على الضفة اليمنى لنهر الفرات على بعد أحد عشر كيلو متراً غربي بلدة البوكمال الحالية, ونحو مائة وعشرين جنوب شرقي دير الزور بالقرب من الحدود العراقية السورية.

تم اكتشاف ماري مصادفة ففي شهر آب 1933م عثر جماعة من البدو وهم يقومون بالبحث عن قطعة حجرية لتغطية قبر أحد موتاهم في تل الحريري, على تمثال رجل بدون رأس يحمل كتابة مسمارية وسرعان ما وصل الخبر إلى السلطات الفرنسية فشكلت بعثة أثرية من متحف اللوفر برئاسة أندريه بارو Andre Parrot.

أظهرت الحفريات التي تمت أن بدايات الاستيطان البشري في منطقة ماري تعود إلى الألف الخامس قبل الميلاد, وقد ساعدها موقعها الجغرافي الممتاز المتحكم بطرق التجارة والمواصلات بين بلاد الرافدين وسورية, وبين هضبة الأناضول وجنوبي بلاد الرافدين, على أن تصبح قوة سياسية و اقتصادية مهمة وهدفاً لحملات الممالك المجاورة العسكرية بهدف السيطرة عليها.

ماري مدينة عامرة تبلغ مساحتها قبل تدميرها على يد حمورابي البابلي وكانت ترتفع في وسطها زقورتها التي بنيت على قاعدة مستطيلة الشكل 42x جُدد بنائها مرات عديدة, وشيدت بالقرب من الزقورة معابد متعددة متخصصة للآلهة, وقد وجد في معبد عشتار العديد من الألواح النذرية وتماثيل للالهة.

ايكو شاماغان– ربة الينبوع

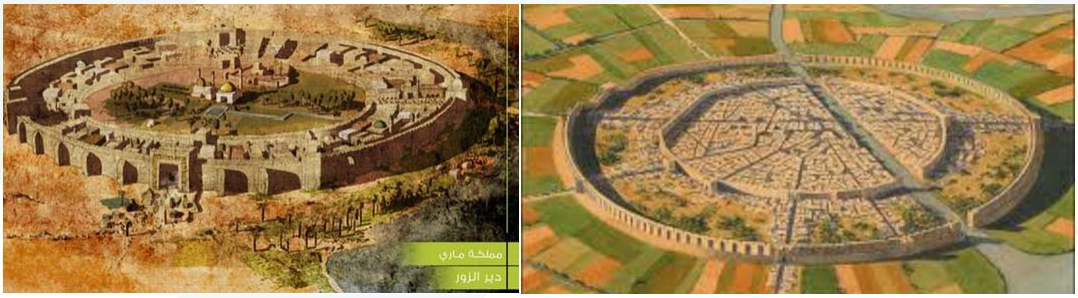

التصميم الدائري

المحفوظات الملكية:

عثر المنقبون 1935م في القسم الإداري من القصر الملكي والقاعتان 108– 115 على محفوظات ملكية مؤلفة من نحو خمسة وعشرين ألف لوح طيني كُتبت بالخط المسماري واللغة الأكادية (اللهجة البابلية القديمة).

تتألف المخطوطات الملكية من وثائق اقتصادية وإدارية وسياسية ودينية ورسائل ومعاهدات وتقارير ونصوص مختلفة, تعطي معلومات ليس فقط عن تاريخ ماري وأوضاعها الاقتصادية مع الممالك والبلدان الأخرى في منطقة الشرق القديم كلها. وهذه المخطوطات أعطتنا صورة واضحة عن ماري, وخاصة من خلال نقاط سنرد على ذكرها.

تاريخ عمارة ماري:

توضحت من خلال قصر زمري ليم, ورغم دمارها من قبل حمورابي إلا أنه بقي الكثير من كنوزها الفنية, وهناك عدة دلائل سمحت بإعادة رسم صورة دقيقة عن القصر الملكي القديم . رغم إننا لا نستطيع تحديد طرائق تنظيمه, إذ نعلم أن الطابق الثاني قد خصص لشقق الملك السكنية وإدارته, وخصص الطابق الأول للمخازن والمؤن وسكن الخدم. ويتوسط القصر معبد ذو مخطط بسيط, وهو عبارة عن باحة رئيسة كبيرة, وقاعة ضخمة يحيط بها حجرة صغيرة, وممرات مجهزة بمذبح من أجل الإجراءات الطقسية, وهناك ممر آخر ينتهي إلى طرف البناء, ويضم عدداً من المذابح المتتالية. ويضاف إلى ذلك المعبد منشأتان معماريتان أخريتان هما:

- مرتفع مسطح بني لغايات تعبدية, وبعود للألف الثالث.
- والمنشأة الثانية هي بقايا زقورة بنيت على مصطبة مرتفعة بمعبد الإله دجن حيث عثر على الأسد البرونزي الشهير.

قصر زمري ليم

الثماثيل الجصية:

عثر في ماري على تماثيل فنية كانت موزعة في مجموعة معابد هي : اشتار – اشتارات– نيني زازا. تمثل أعمال النحت الجصية هذه جمالية خالصة لفن ماري التي أصبحت فيما بعد محور الفن العراقي السوري والشرقي.

كما تطور فن التصوير في ماري ويشهد عليه الرسم الجداري الشهير المعروف باحتفال التنصيب وعندما نتأمل هذا المشهد فإنه يدل على أن هناك كثيراً من الصالات الملكية التي زينت برسوم مشابهة.

التماثيل الجصية– التصوير

التجارة الدولية الواسعة:

تفيدنا النصوص التجارية بمعرفة أسماء المواد الأولية, وسمحت لنا تلك النصوص بمعرفة مدى انتشار الأعمال التجارية لمدينة ماري التي شملت العراق وسورية ولبنان وفلسطين والأناضول وايران والبحرين على الخليج العربي وكريت وقبرص في البحر المتوسط, كل هذا النشاط التجاري سجل في النصوص وخاصة في عهد شمشي أدد وزمري ليم.

وتحدثت النصوص عن تجار وقوافل تجارية وبعثات تجارية كانت تقصد ماري أو تعبرها غلى مدن أخرى, فماري كانت محطة مهمة أيضاً للسعاة الذين يرسلهم الملوك والحكام في مهمات دبلوماسية أو اقتصادية فالتجارة والدبلوماسية كانا مرتبطين معاً بشكل وثيق.

انجازات الحكام:

لقد عثر على مجموعة نصوص في الصالة رقم 135 في قصر زمري ليم, وتبين أنها رسائل حكام الأقاليم أو نواب الملك في المدن والقرى التابعة له. وتفصح رسائلهم عن الأعمال الموكلة إليهم من قبل مولاهم.

1. وتتمثل بإدارة منطقتهم في مجال الاقتصاد وتنظيم استخدام اليد العاملة في مواسم الحصاد أو السهر على إقامة الاحتفالات الدينية,
2. وكان عليهم أن يصونوا المنشآت والبنى التحتية, فقد كان إصلاح القنوات في مواسم الفيضانات من أشغالهم الأساسية, وهناك رسائل متعددة تتعلق في هذا الموضوع.
3. وتتعلق بالحكام أمور أخرى مثل القضاء والشرطة والحراسة ومنع السرقة وملاحقة المجرمين والقتلة.

4. وكان على الحاكم تلبية طلب الملك في حاجته من الحجارة القاسية للنحت والحيوانات بأنواعها. كما كان يطلب منهم إرسال المهنيين والفنانين إلى القصر.
5. ويوجد رسائل تخبر الملك عن الطقس والفيضان وغيره من الكوارث الطبيعية.
6. رسائل تخبرهم عن تحركات السكان وخاصة البدو, وسمحت لنا الرسائل المتعلقة بالقبائل أن نفهم طبيعة العلاقة البشرية السياسية والاقتصادية.

والخلاصة أن مراسلات الحكام تضمنت الكثير من التفاصيل المفيدة وتعكس طلباتهم المتكررة للتوجيهات الملكية, مدى إخلاصهم للعرش, وكذلك فقدامهم المبادرة الحرة, وعجزهم عن مجابهة الأخطار التي بدأت تهدد المملكة وبخاصة ضغط البدو الدائم وأطماع بابل وملكها حمورابي الذي كان سبب اختفائها.

المرأة في نصوص ماري:

هناك أكثر من مئتي رسالة على ألواح طينية تتعلق بموضوع نسوي يوضح دور المرأة في المجتمع والديانة والسياسة, وكانت بعض النسوة المغنيات موضوع رسائل تفضح عن رغبة الملك بمغنية مرموقة أو امرأة جميلة إلى جانب الزوجة الأولى , وكان الزواج المتبادل بين العواهل والملوك والحكام دليل تحالفات سياسية واقتصادية, وهكذا فقد تزوج زمري ليم ثانية من ابنة الملك الحلبي القوي شبتو, كما دفع بناته كزوجات لنوابه بالأقاليم, وكانت العلاقة تسوء بين الحمو وصهره مما ينعكس على سياسة الملك.

الزواج الدبلوماسي

كما إن إحدى بنات زمري ليم واسمها(ارشتي أيا) زُوجت من ملك سيبار في العراق, ولم تكن في موضع تحسد عليه, فراسلت والدها ترجوه الخلاص عدة مرات, وخاصة أن شقيقة حمورابي قد وجدت في المكان نفسه, ربما كان هذا سبباً لتصاعد العداء بين بابل وماري.

أورنينا– شبتو

العرافة والتنبؤ:

تتحدث بعض الرسائل النسوية عن أحلام ورؤى ونبوءات, وهذا ما ميز ماري عن غيرها فاعتبروا النبوءة والتنبؤ كوساطة بين إدارة الآلهة و الإنسان بمساعدة الكهنة, الذين يتمثلون حالات الحلم وقدمت أمثلة لذلك.

وخاصة هناك أربعة رسائل مرسلة من الملكة الحلبية الأصل شيبتو إلى زوجها زمري ليم, حيث تنقل إليه محتوى الرسائل التي أوحت بها الآلهة أنونيتوم بوساطة الكاهن المتبئ, وعندما يرى لأحد الأفراد حلماً يتعلق بالملك فإنه سرعان ما يهرع عليه ويخبره بمضمونه.

نظام الإدارة في ماري:

لقد ساعدتنا نصوص ماري الإدارية على فهم مؤسسات الإدارة والتنظيم في وقت مبكر من الألف الثاني قبل الميلاد لدى الأموريين في معظم مدن الشام والعراق.

ويظهر لنا من خلال قراءة نصوص العقود والتسجيل والمراسلات الملكية معلومات في غاية الأهمية, وهي تزودنا بأسماء كبار وصغار الموظفين وأماكن وجودهم وأوضاع المجتمع وتنظيماته من بدو ومزارعين وصناع وملاك وملاكين. ويظهر لنا نظام القضاء والقسم الذي يأخذ شكلاً اجتماعياً وقفاً على المجتمع الأموري, إذ أن القسم في القضاء وأمام الملك أو في العقود أو الرسائل يدلنا على النظام القضائي المشترك بيم مدى الشام والعراق القديمين.

وهكذا نلمح وجود نظام إداري ملكي مركزي لا تمنح فيه السلطة الأمورية سوى القليل من إمكانية التصرف لحكام الأقاليم, وهناك رسالة لحاكم في الجزيرة يشكو فيها إلى الملك شمشي أدد عدم إمكانية فض النزاع على مياه البليخ لأنه ليس صاحب السلطة الوحيدة.

والشيوخ يمثلون قبائلهم أمام السلطة الملكية وكان على جميع هؤلاء تأمين سير الأعمال الزراعية ورفع حصة القصر دون تأخير.

وكان الحاكم أعلى سلطة قادرة على تجميع القوى العاملة أو الطلب إليها تنفيذ الرغبات الملكية المتعلقة بورشات العمل في القصر والعاصمة والأقاليم, ويأتي في رأس هذه الأعمال مواسم الحصاد والفلاحة وشق القنوات وإقامة السدود والتحصينات.

وهناك ناحية مهمة لابد من التنويه إليها وهي حجب المعلومات, فلا يجب حجبها عن الملك بأي طريقة. وإخطار الملك بكل شيء واجب كل موظف صغير أو كبير ويتولى الحكام والقادة العسكريين إيصال الرسائل الفخارية مغلقة ومختومة مسطرة بالكتابة المسمارية.

وقد تحدث حالات من حجب المعلومات بأن يقوم القائد العسكري بحجبها من الكهنة وخاصة إذا كانت نبوءة. فالقائد قد لا يرغب بذلك خشية اطلاع العامة على المعلومات وعدم معرفة رجال الدين بالعلاقات أو اللعبة السياسية, فيقوم القائد بغربلة المعلومات أو حجبها عن السلطة الملكية, وهذا التلاعب قد يؤدي غلى خطر كبير يعاقب عليه من السلطة الملكية.

تدمير ماري ونهايتها:

أهمية ماري وغناها وازدهارها لم يكن خافياً على أعين ملوك وحكام بلاد الرافدين وسورية, وخاصة على أعين الملوك الكبار كشمشي أدد ملك آشور وحمورابي ملك بابل.

فقد كان حمورابي ينتهز الفرصة للانقضاض عليها ونهب كنوزها, وقد سنحت له الفرصة بعد أن قضى على خصومه في بلاد الرافدين, وهاجم زمري ليم رغم وقوفه معه ضد أعدائه وأمر بهدم أسوارها. ولا يوجد رسائل تذكر أسباب النزاع بين حمورابي وزمري ليم, لكن يبدو أن السبب الرئيس لاحتلال ماري وتدميرها من قبل حمورابي هو رغبته في جعل بابل أو إحدى مدن مملكته الأخرى تحل بمكانها كمحطة رئيسة للمواصلات التجارية الواصلة ما بين الرافدين وسورية وبالتالي جني الأرباح الكبيرة التي كان يجنيها ملوك ماري.

مملكة يمحاض

مملكة أمورية قامت في شمال سورية ما بين 1800- 1650ق.م, عاصمتها حلب وامتد نفوذها إلى مناطق رافدية تقع شرق نهر الفرات مستفيدة من ذلك موقعا الاستراتيجي الذي يربط بين هضبة الأناضول في الشمال وجنوبي سورية ومناطق بلاد الرافدين والفرات الأوسط في الشرق والبحر المتوسط في الغرب.

لكن المشكلة في معرفة تاريخ هذه المملكة هي مصادر خارجية تأتي من ماري وآلالاخ ومن العاصمة الحثية, أما من يمحاض أو من حلب فلا تتوافر أية معلومات مكتوبة أو أثرية وذلك بسبب تعذر

القيام بحفريات أثرية في حلب نتيجة استمرار الاستيطان البشري فيها وكثافة منذ أقدم العصور. فلا شيء معروف عن محفوظاتها الملكية وكذلك معابدها وبيوتها. ويمحاض اسم القبائل والجماعات التي أسست المملكة وتعني الرجال الأشداء أو الأقوياء

نهاية مملكة يمحاض:

تأسست المملكة الحثية القديمة في وسط بلاد الأناضول على أيدي الحثيين وهم جماعات هندو أوربية كانت قد هاجرت إلى هذه المنطقة منذ بدايات الألف الثاني ق.م. وقد استطاعت حلب خلال قرنيين من الزمن امتلاك النفوذ والسيطرة وقاومت طويلا النفوذ الحثي , إلا أنه زال نفوذها على أيدي الحثيين عام 1595 ق.م.